طلعنا عالحريّة

حرية كرامة مواطنة

العدد 46
2014 / 10 / 13

تحقيقات

اكراد كوباني:
قصص الحرب والنزوح

تقارير

"سايبر سيتي"
مدينة ألعاب أم فيلم سينمائيّ؟

لقاءات

هاني عباس.. "بقجتي وطني"
يوثق الألم والوجع يوماً بيوم..

مقالات

- تركيا في أدوارها السورية
- نحو اللامركزية في المجتمع والدولة
- الأخوة الأعداء
- كلنا داعش.. ولتسقط كوباني!
- فصل في الجحيم السوري
- الأسد بين تموضعين

افتتاحية

لا يبدو أن مواقف المؤيدين للنظام السوري قد تغيرت بعد إعلانه الصريح عن وقوفه في خندق واحد مع من كان يسميها الأمبريالية الأمريكية.. ! والملفت أنه وحتى بعد أن خلع النظام آخر أوراق التوت التي كان يختبئ خلفها، ورقة الممانعة ومعاداة الأمبريالية، بقي اليساريون والقومجيون، مثلهم مثل الطائفيين والشبيحة، على وفاؤهم الكامل له..

لقد أعلن النظام السوري عبر صحافته أن «القيادة العسكرية الأميركية باتت في خندق واحد مع قيادة الجيش السوري في الحرب على الإرهاب داخل سوريا وعلى حدودها الشرقية والجنوبية الشرقية»، وقالت صحيفة الوطن الناطقة بلسان النظام أنه «حتى لو رفضت واشنطن ودمشق مثل هذا التشبيه، لأنه يتعارض مع توجهات رأيها العام، إلا أنه واقعي وحقيقي».

وكان وليد المعلم وزير خارجية النظام قد طالب دول التحالف وعلى رأسها الولايات المتحدة قبيل بدء الضربات الجوية بالتنسيق مع النظام في حال قرر التحالف قصف بلاده..! وكل المؤشرات تشير إلى وجود مثل هذا التنسيق وعلى أعلى المستويات.

كما كررت إيران يوم أمس إعلان رامي مخلوف الشهير في بداية الثورة، إذ أعلن نائب وزير الخارجية الإيراني للشؤون العربية والإفريقية حسين أمير عبد اللهيان، أن سقوط نظام الرئيس السوري، بشار الأسد، سيكون خطرا على أمن إسرائيل، مؤكدا أن بلاده قد أعلمت الغرب بذلك.

كل هذه المؤشرات والدلائل، كل هذه الاعترافات الصريحة، وكل الحقائق التي تفقأ العين على الساحتين العسكرية والدبلوماسية الدولية، لم تغير شيئاً من مواقف الموالين ولا من مواقف «المثقفين» المدافعين عن نظام الأسد.. من مدعيّ الوطنية والممانعة والمقاومة.

إن دل ذلك على شيء فهو يدل على أنه لا مكان للمواقف الأيديولوجية «الشريفة» في عالم المؤيدين لنظام البطش، وأنها مجرد قناع زائف إما لمنافع مصلحية ذاتية، أو لنزعات طائفية أو طبقية دنيئة. ويبقى التقييم الأخلاقي أساساً وحيداً في فهم دناءة هذه المواقف وقلة وطنيتها وانعدام إنسانيتها.

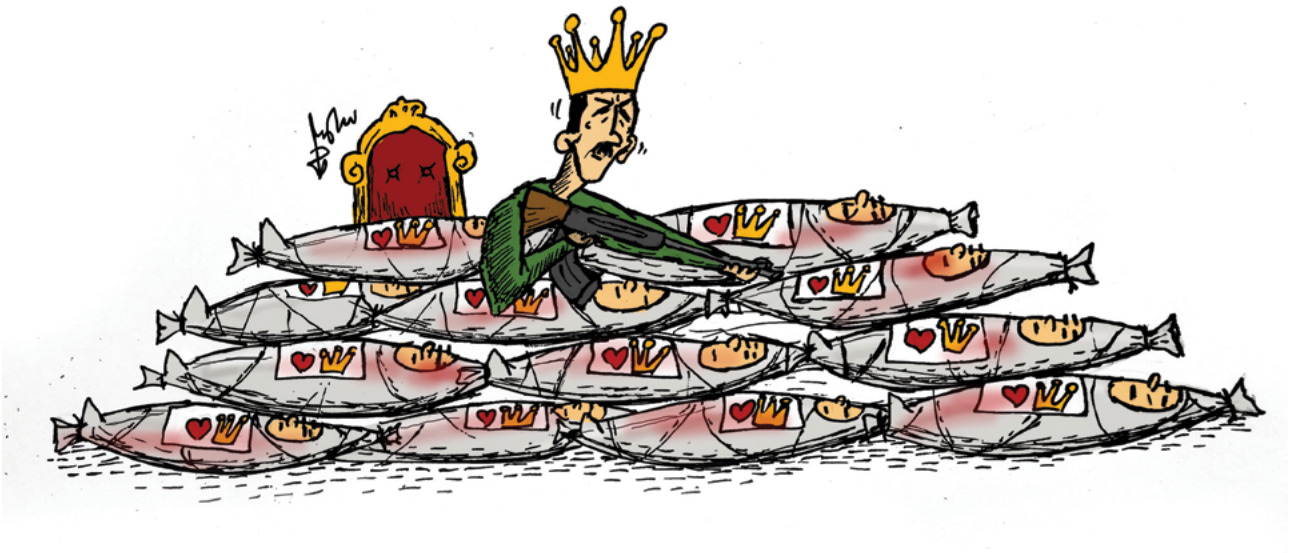

طلعنا عالحريّة
مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

للنشر في الجريدة
newspaper.lcc@gmail.com

المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
الجريدة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد.

لجان التنسيق المحلية
Local Coordination Commitees

تركيا في أدوارها السورية

ماجد كيالي

كنا طوال العقود الأربعة الماضية إزاء ثلاث دول فاعلة في الشرق الأوسط، هي إسرائيل وإيران وتركيا، فأصبحنا إزاء دولتين، إذ باتت إسرائيل خارج هذه المعادلة؛ لا سيما بعد انسحابها من لبنان (2000). لكن هذا الاستنتاج ينطوي على ملاحظتين، او توضيحين، أولاهما، أن هذه الفاعلية ظلت تشتغل، وإلى حد كبير، تحت سقف السياسة الأميركية، او بمقدار انسحاب الولايات المتحدة من هذه القضية أو تلك. وثانيهما، أن إسرائيل هي على رأس قائمة الرابحين من التجاذبات الإيرانية والتركية (والخليجية والمصرية) في هذه المنطقة.

على أية حال فما يهمنا هنا هو الحديث عن تركيا التي باتت في ظل رجب طيب اردوغان، زعيم حزب العدالة والتنمية الحاكم، من أهم الدول المؤثرة في مسار الثورة السورية، بإعلانها مساندتها لها من الأيام الأولى، وباحتضانها قوى المعارضة، وباستقبالها مئات ألوف اللاجئين السوريين.

معلوم ان الدور التركي تعاظم بشكل كبير، مع تحول الثورة إلى العمل المسلح، وتزايد اعتمادها على الدعم الخارجي، ولاسيما مع تزايد دور الفاعلين الدوليين والإقليميين في تقرير مصير سوريا، كتحصيل حاصل للفراغ الحاصل، إن بسبب تفكك الدولة، وواقع فقدان النظام للسيطرة، او بسبب عدم قدرة الثورة على تشكيل البديل السياسي، الذي يعزز مكانتها في مجتمعها وفي الإطارين الدولي والعربي.

ومع أن تركيا تبوأت هذه المكانة، طوال أربعة أعوام تقريبا، إلا أن حدود تدخلها في الثورة السورية ظل محكوما بسقف دولي وإقليمي معين، وظل مقيدا بشروط محددة، بالقياس للتدخل غير المحدود لإيران لصالح النظام. ولعل هذا يفسر التصريحات التركية هذه الأيام، المتبرمة من التردد الأمريكي، والمطالبة من القوى الدولية والإقليمية حسم امرها إزاء تغيير الواقع في سوريا، واسقاط النظام، وعدم اقتصار الحملة الدولية على مجرد مواجهة "داعش"، وبأسلوب الاستهداف المحدود وغير المضمون من الجو.

ومع كل الملاحظات على الدور التركي، الذي اسهم في الحض على التسريع في وتيرة الثورة السورية، وتشجيع التحول نحو الثورة المسلحة، من دون توفير المؤهلات والامكانيات لذلك، وتشكيل الجماعات العسكرية ذات التوجه الإسلامي والطائفي، إلا أن هذه الدور ظل محكوما بمحاذير وتخوفات وقيودات معينة يمكن اجمالها بالآتي:

1) طبيعة النظام الديمقراطي، وحساسية حزب العدالة والتنمية من أي ردة فعل من المعارضة التركية، إزاء أي خطوة قد يأخذها في ما يتعلق بالوضع السوري. ومعلوم أن هذه المعارضة تتحفز لأي خطوة غير محسوبة للحزب الحاكم كي تقوم بالانقضاض عليه، واسقاطه عن سدة السلطة. والمشكلة ان الموزاييك المؤلف للمجتمع التركي تبدو مؤهلة لذلك، فثمة "العلويون"، الذين يتعاطفون مع نظام الأسد، وثمة الكرد، الذين لديهم حساباتهم الخاصة في هذا الأمر، كما ثمة القوى اليمينية القومية، والمعادية للتيار الإسلامي.

2) الكلفة العالية لأي تدخل تركي في الشأن السوري (والعراقي)، مع وجود حدود واسعة جدا مع العراق وسوريا، ما سيحملها عبئا أمنيا، وماليا، واقتصاديا، كبيرا، لذا يحرص اردوغان، والطبقة الحاكمة، على ان تكون أي خطوة قد تقدم عليها تركيا، مدعومة أيضا عسكريا وسياسيا وماليا من الدول المعنية، الدولية والإقليمية.

3) تأخذ تركيا في حسبانها، في أي خطوة في المجال السوري، الوضع الحساس الذي ستكون فيه إزاء كل من روسيا وايران، اللتان تناصرا النظام السوري، لذا فإذا كان ثمة أي حركة عسكرية إزاء الوضع في سوريا، فإن قادة تركيا يبدون حرصاً عاليا بأن تكون منسقة مع حلف الناتو، ومع الولايات المتحدة الامريكية، وهو ما يفسر التلكؤ التركي في التحرك لنجدة الكرد في كوباني/عين عرب، الذين يستبسلون في الدفاع عن مدينتهم.

4) ثمة مشكلة لتركيا أيضا مع بعض الدول العربية، المناصرة للثورة السورية، وضمنها السعودية والإمارات، كما ثمة مشكلة كبيرة لها مع النظام المصري، وهو اختلاف ينعكس سلبا على السوريين وعلى الثورة السورية، بسبب تضارب الاجندة بين هذه الأطراف الفاعلة في الشأن السوري.

5) مع كل هذه الأوضاع تبدو تركيا متوجسة من أن أي تدخل من قبلها في الشأن السوري قد يفيد النظام، وقد يفيد حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي (زعيمه صالح مسلم) وهو فرع حزب العمال التركي الذي يتزعمه عبد الله اوجلان خصم تركيا اللدود، ما يفسر جملة الشروط التي وضعتها، وضمنها ان أي عمل عسكري في سوريا، ينبغي ان يشمل العمل العسكري في البر، وانه ينبغي ان يستهدف اسقاط نظام الأسد، لأنه المسؤول عن كل ما يجري في هذا البلد.

في مقارنة بين مكانتها قبل "الربيع العربي" وبعده يمكن ملاحظة أن تركيا خسرت من استثمارها السياسي لدى الحكومات والمجتمعات في العالم العربي، بل ان ذلك أثّر سلباً على وضعها الداخلي.

وكانت تركيا بدت، طوال العقد الماضي، بمثابة نموذج ملهم للمجتمعات العربية، بصعودها السياسي والاقتصادي وبقوّتها الناعمة، فهي دولة ديموقراطية، وتتمتع باقتصاد قوي (دخل الفرد 13 ألف دولار سنويا)، مع قدرة تصديرية عالية (114 مليار دولار 78 في المئة منها سلع مصنعة). وهذه الدولة، ومنذ صعود حزب "العدالة والتنمية" الى الحكم (2002)، كحزب اسلامي في نظام حكم علماني، انتهجت سياسة تخفيف التوترات مع محيطها، وعدم التورط في المشكلات الداخلية للبلدان الأخرى، وتوطيد مكانتها لدى جيرانها عبر العلاقات التجارية والأنشطة الاستثمارية، ما عزّز جاذبيتها.

والواقع فإن المكانة التي حازت عليها تركيا لم تكن في مصلحة الدولة الإقليمية الأخرى، أي إيران، التي عرفت بانتهاج سياسة "تصدير الثورة"، وتحريض المجتمعات على الحكومات، والتي عملت على خلق مناطق نفوذ لها في بعض البلدان العربية، وضمن ذلك إقامة جماعات طائفية مسلحة موالية لها، وتعمل في خدمة توسيع نفوذها الإقليمي.

طبعاً لا علاقة مباشرة للطابع المذهبي في الانحياز للنموذج التركي، لأن المجتمعات العربية كانت تحمّست للثورة الإيرانية، وناصرت "حزب الله" كحزب مقاومة، منذ عقود. ويمكن تفسير هذا الانحياز بتغيّر السياسة التركية لمصلحة العرب، وبنجاح نموذج حزب "العدالة والتنمية" في الحكم، وبالشبهات التي تحوم حول دور إيران في الغزو الاميركي للعراق (2003)، ناهيك عن هيمنتها عليه، وإثارتها النزعة المذهبية فيه، وفي العالم العربي، وصولاً إلى دعمها المحموم لنظام الأسد.

الآن، تقف تركيا إزاء عديد من القضايا، أولها، يتعلق بكيفية معالجة الملف الكردي. وثانيها، يتعلق بتوضيح موقفها من الجماعات الإسلامية المتطرفة والمسلحة، التي سبق ان سهّلت لها، او غضت الطرف عن نشاطاتها. وثالثها، بشأن الموقف من الخطوة المقبلة في سوريا. كل المؤشرات تفيد بأن تركيا باتت في مواجهة استحقاقات سياسية استراتيجية على غاية الأهمية لها وللمنطقة، بيد أنه من الصعب التكهن بكيفية تعاملها مع هذه الاستحقاقات، او التداعيات الناشئة عنها، لكن ما يمكن قوله ان مصير السياسة التركية، في ظل اردوغان، بات مرتبطا بمآلات الوضع في سوريا، ان سلبا او إيجابا.

نحو اللامركزية في المجتمع والدولة

جاد الكريم الجباعي

نشأت الدولة الوطنية (= القومية)، في سوريا والبلدان العربية الأخرى، الحديثة الاستقلال، على الأسس التي أرسيت في العهد الكولونيالي، وتعينت حدود الدول المشرقية خاصة وفقاً لمعاهدة سايكس بيكو، وسياسات الانتداب والوصاية، فكانت هذه الدول نسخاً عن الدول الحديثة في الشكل: دول وطنية (دستورية) مركزية مستقلة وذات سيادة، مؤسسات وسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية، تعليم وصحة ومواصلات واتصالات وخدمات اجتماعية .. وجيوش وقوى أمن داخلي ومخابرات. وكانت حركة التنوير، في هذه البلدان، ولا تزال، محاصرة بين الضغوط الاستعمارية والإمبريالية وضغوط العولمة أخيراً، من جهة، وضغوط المجتمع التقليدي من جهة أخرى.

فالبنى الاجتماعية التقليدية، التي كان تطورها بطيئاً وهامشياً لم تفقد صلابتها القديمة، على الرغم من الاختراق الرأسمالي والعلاقات السلعية النقدية، ولم تتكيف مع منطق الدولة الحديثة المشكوك في نسبها، لذلك كان على الدولة أن تتكيف مع هذه البنى، ما جعل رؤيتها السياسية والثقافية نوعاً من تركيب غير متجانس من عناصر تراثية وتقليدية وميول سلفية، وعناصر حديثة وميول مستقبلية. وقد نتج من هذا التركيب غير المتجانس أيديولوجية قومية إسلامية، قوامها ماضويات ومستقبليات، هي أيديولوجية الدولة القومية التي تناولها عبد الله العروي وياسين الحافظ بنوع من النقد الثقافي المميز، وقد فرضت هذه الأيديولوجية على المجتمع بقوة الدولة، وغدت هي الثقافة المتسيدة والسلطة الناعمة الملازمة للسلطة السياسية المباشرة. التركيب الهجين لهذه الأيديولوجية، التي تبناها حزب البعث العربي الاشتراكي، وعمل على فرضها على المجتمع، بالترغيب والترهيب، منذ عام 1963، أسهمت في إنتاج الدولة السلطانية المحدثة، التي تقترن فيها المركزية المطلقة بالاستبداد الكلي، مثلما أنتجت الإرهاب واستقدمته وتوسلت به في حربها على الشعب.

منذ ذلك الحين غابت فكرة الديمقراطية، وغيبت، في سياق نزع مكتسبات الحداثة الكولونيالية ومظاهرها ومسخها، فساد في الوعي السياسي خاصة تركيب متناقض اسمه "الديمقراطية المركزية" لدى بعضنا، و"المركزية الديمقراطية" لدى بعضنا الآخر، وعُدَّ هذا التركيب مبدأ "الديمقراطية الشعبية"، ولم تفض لعبة تبديل موقع الديمقراطية تقديماً وتأخيراً إلا عن تبديدها وتعزيز المركزية، وتسويغ الاستبداد الكلي. وكان لاندماج بوادر المجتمع المدني بالسلطة السياسية، التي قلصت الدولة حتى باتت مطابقة لها، أثر حاسم في غياب الديمقراطية وتغييبها، وتبرير ذلك بأولوية مواجهة الإمبريالية والصهيونية ودولة إسرائيل وتحرير الأرض المغتصبة من براثنها. ومضت القيادة الحكيمة في التفكير والتدبير نيابة عن الشعب، والقيادة الحكيمة هي القائد الرمز، وليس سوى القائد الرمز.

يتراءى لنا، في ضوء ما يحدث في سوريا وغيرها، أن المركزية قرينة الاستبداد السياسي والديني والذكوري، لا تنفك عنه ولا ينفك عنها. وأن الدولة الديمقراطية، بالمقابل، هي المجتمع الديمقراطي، أي مجتمع المواطنات الحرائر والمواطنين الأحرار، وأن حرية الأفراد والجماعات وحقوقهم المدنية والسياسية المتساوية هي معنى إنسانيتهم ووطنيتهم، أو لا تكون الوطنية سوى رعوية بائسة وقطيعية بدائية وهمجية. ولما كان المجتمع المدني فضاء من الحرية فإن علاقته بالدولة، التي هي مملكة القوانين، كما يفترض، علاقة تناقضية، أي ديالكتية، متغيرة، وفقاً لنمو المجتمع وتطوره، فلا يجوز النظر اليوم إلى الدولة، التي لا بد منها، في سوريا وغيرها، إلا من زاوية المجتمع المدني، وما ينطوي عليه من تعدد واختلاف يحددان طبيعة النظام السياسي، أو لا يكون النظام السياسي نظاماً للمجتمع، بل سلطة عارية متسيدة عليه بالعسف والإكراه.

التعدد والاختلاف يوجبان أن يكون النظام السياسي فدرالياً أو نوعاً من فدرالية جديدة، تعينها الحياة الأخلاقية للشعب وحاضنتها الثقافية، وهذه وتلك مغروزتان في الاختلاف والتعدد والتنوع. وللمنافحين عن الدولة نقول: مفهوم النظام السياسي غير مفهوم الدولة، لذلك يقال: دولة نظامها السياسي ديمقراطي برلماني ... ويمكن أن نقول فدرالي. الدولة شخص اعتباري ومفهوم مجرد، لكن النظام السياسي تعبير مباشر وعياني عن حياة الشعب، فلا تناقض بين النظام الفدرالي ووحدة الدولة وقوتها ومنعتها وسيادتها على إقليمها. النظام الفدرالي يتعلق بالمؤسسات والعلاقات المتبادلة فيما بينها. والمؤسسات هي التي تتعين فيها علاقة المواطنات والمواطنين بالدولة، ولا تكون هذه العلاقة صحيحة ومنتجة وبيئة تمكينية إلا إذا كانت موسَّطة بمؤسسات المجتمع المدني وانتظاماته الحرة وتنظيماته المستقلة، القديمة منها والحديثة. (الذين يتحدثون عن دولة مدنية تعددية إما جهلة وأما ماكرون، وإما جهلة وماكرون معاً وهو الأرجح، لأن ثمة ثقافة في مجتمعنا هي ثقافة تجهيل)

الحياة الأخلاقية وحاضنتها الثقافية، التي تتأسس عليها الرؤية التعددية أو الفدرالية، ولا فرق، تقوم على اعتبار الفرد الإنساني ذكراً أو أنثى هو النموذج الكامل للإنسان، والنموذج الكامل للمواطنة أو المواطن، وأنه يتوفر على إرادة حرة ومستقلة، أو يمكن أن تكون كذلك، تمكنه من التشريع لنفسه، بصفته عضواً في المجتمع والدولة، فيكون تشريعه لنفسه قابلاً لأن يكون تشريعاً عاماً أو مبدأ عاماً، وإلا كيف نركن لمن ننتخبهم لكي يشرعوا لنا؟ ومن ثم فإن عضوية الفرد في المجتمع والدولة لا تكون إلا موسطة بعضويته في جماعة إثنية أو دينية أو مذهبية، أو في نقابة أو حزب سياسي أو جماعة ضغط أو تنظيم مدني لا يحق لأحد أن ينتزعه منها. هذه التوسطات مرجعيات ثقافية وأخلاقية مختلفة، ليس لأي منها أن تفرض أفكارها وتصوراتها ومبادئها وقيمها على غيرها إلا بالعسف والإكراه، اللذين يحملان جرثومة العنف والنزاعات. ما يعني حق كل جماعة أن تشرِّع لنفسها، وتمتثل، في الوقت ذاته، للتشريع العام، والتشريع العام هو ما يشترك به جميع الأفراد والجماعات، على اختلافهم واختلافها، ويعبر عنه الدستور. وكلما كان هذا التشريع العام أدنى إلى القيم الإنسانية العامة كان أكثر تعبيراً عن الأفراد المختلفين والجماعات المختلفة، لذلك اعتبرنا الإنسية أو الإنسانية أساس الوطنية ورافعتها. فمن لا يستطيع الاعتراف بتساوي الأفراد إناثاً وذكوراً في الكرامة الإنسانية، بحكم ثقافته وتنشئته، لا يمكنه الاعتراف بتساويهم في الحقوق المدنية والسياسية. نحن نتفهم ذلك، ولا نرفض الأفراد بسبب ثقافتهم العنصرية، بل نرفض هذه الثقافة. لذلك نرى في التعددية وسيلة لحل المشكلات بالطرق السلمية، واثقين بأنها تفضي إلى وحدة هي وحدة الاختلاف.

الأخوة الأعداء

علي العبدالله

تدور حرب باردة بين السعودية وتركيا على قيادة العالم الاسلامي حيث ترى كل منهما نفسها جديرة بلعب هذا الدور لاعتبارات تتعلق بالتاريخ والجغرافيا من جهة ولما تمثله في العلاقات الاقليمية والدولية من جهة ثانية. فالسعودية ترى قيادتها للعالم الاسلامي، تقصد السنة باعتبار الشيعة بنظرها خرجوا عن الاسلام، تحصيل حاصل في ضوء التاريخ، مهد الدعوة الاسلامية، ومكانتها لدى المسلمين لاحتضانها لقبلتهم وللأرض التي يقصدونها لأداء فريضة الحج ويزورون قبر نبيهم في المدينة المنورة، والتي تشكل مع مكة المكرمة الحرمين الشريفين، وقد اعتمدت لتعزيز ذلك تسمية الملك بخادم الحرمين الشريفين، كان السلاطين العثمانيون اول من ابتدع التسمية للالتفاف على كونهم غير قرشيين بعد ان كرّس الفقهاء شرط قرشية الامام، وترى في سياستها ورؤى مؤسساتها الدينية معيارا وحكما اسلاميا قاطعا لا يدانى ولا يرد. وهذا جعلها حساسة لقيام أي كيان سياسي او دولة على خلفية اسلامية وترى فيها منافسا محتملا لقيادتها يجب احتواؤه او التشكيك بتمثيله لتوجه اسلامي صحيح.

تركيا تحت حكم حزب العدالة والتنمية من جهتها تعتبر نفسها الاجدر في قيادة العالم الاسلامي لاعتبارات تتعلق بالتاريخ الاسلامي القريب، السلطنة العثمانية، ولنجاحها في الحكم وتحقيق تقدم اقتصادي مشهود لفت انظار مسلمين كثر يعانون من عجز في تأمين لقمة عيش كريمة، وحلموا بتكرار تجربتها في بلادهم.

لقد تجلت الحرب الباردة بينهما في التنافس على الساحات الاسلامية ودعم كل منهما لجهات اسلامية تتسق مواقفها وافكارها معه مع توجهاته، ، فالسعودية تبنت الجماعات السلفية واستخدمتها في نشر المذهب الوهابي، وحاربت الاخوان المسلمين الى درجة ارتياحها لهزيمة حزب الاصلاح اليمني الإخواني في مواجهة الحوثيين خصومها السياسيين والمذهبيين، وحاربت الحركات الصوفية، واعتمدت سياسة مقاومة التغيير في العالم الاسلامي ومحاربة كل فكر ينطوي على دعوة الى التغيير والتطوير، وخاصة الفكر الاسلامي، بحيث لا تثار اسئلة حول تمثيلية النظام السعودي للإسلام او تشكيك بإسلامية توجهاته وطرح بدائل جذابة له.

تركيا التي امتلكت جاذبية واشعاعا سياسيا حولها الى قدوة ومثال تجسد بتشكيل احزاب اسلامية تحمل ذات الاسم: العدالة والتنمية في عدد من الدولة الاسلامية تصدت للتحرك السعودي وتبنت حركة الاخوان المسلمين ورعتهم وقدمت لهم الدعم والمأوى وتحركت بقوة لإنجاح تجربة حكم الاخوان في مصر وتونس وخاضت صراعا سياسيا ودبلوماسيا واعلاميا مع الانقلاب المصري على حكم الاخوان ورعاته السعوديين والاماراتيين.

وكان الاسوأ في هذا الصراع ما حصل في الثورة السورية حيث سعى كل طرف منهما لتعزيز دور حلفائه ومنحهم مكانة مميزة في قيادة الثورة بجناحيها العسكري والسياسي فكان التفاضل والانقسام والتمزق في الصفوف انعكس سلبا على نتاج الثورة ووحدتها وتماسكها وعلى صورتها بين جمهورها وحاضنتها الاجتماعية حيث نظر الى قادتها كبيادق في يد الخارج وخدمة مخططاته.

غير ان كلا التجربتين تفتقران الى شرعية تمثيل المسلمين وقيادتهم لاعتبارات تتعلق بطبيعة البنية السياسية للنظام ولانعكاساتها على الواقع الوطني والاسلامي.

فالدولة السعودية بمرتكزاتها الثلاث: الديني والسياسي والثقافي لا تشكل حالة ناجحة او جاذبة فالمرتكز الديني المتمثل بالمذهب الوهابي لا يمتلك اسسا فقهية او منهجية للتعاطي مع المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها العالم الاسلامي، ومرتكزها السياسي: النظام الملكي المطلق ليس بالنظام القابل للحياة في العصر الحديث وما شهده من تطور على صعيد الحقوق والواجبات الوطنية والانسانية. واما مرتكزها الثالث: الثقافة البدوية فهو النقطة الاضعف في البناء وتمسك النظام بها كونها من طينة نظام سلطاني فردي مغلق. وهذا بالإضافة الى التمييز بين المسلمين على خلفية مذهبية حيث يعيش الشيعة والاسماعيليون كمواطنين من درجة دنيا، كما تضطهد المرأة وتنتهك ابسط حقوقها. ما جعل الدولة السعودية كيانا هشا تعتمد في معظم دخلها الوطني على هبة الطبيعة: النفط وفي امنها الوطني على حماية خارجية، امريكية تحديدا، وقواتها المسلحة رغم مليارات الدولارات لم تنجح في صد هجوم الحوثيين على ارضها في منطقة جيزان عام 2009. واعتمادها دبلوماسية الشيكات لكسب ود قوى سياسية وتحاشي قيام قوى ارهابية بأعمال ضد مصالحها(كانت تدفع لابي نضال ولكارلوس اتاوات شهرية). ما يعني عدم نجاحها في ادارة مملكتها فكيف بإدارة دول ومجتمعات العالم الاسلامي وما تحتويه من مشكلات ومصاعب اقتصادية واجتماعية وصراعات عرقية واثنية ومذهبية.

النظام التركي مع انه يمتلك ميزات كثيرة يتقدم فيها على النظام السعودي كثيرا الا انه يعاني من نقاط ضعف بنيوية من نوع آخر فالاستقرار الذي تعرفه تركيا ليس من انتاجه وتحقيقه التقدم والازدهار للشعب التركي، وترويجه لدوره الراهن باعتباره عثمانية جديدة، لا يغطي نقاط ضعف بنيوية قاتلة في كيانه، فالتعايش الذي اقامه بين هويته الاسلامية والأساس العلماني للدولة التركية لم يتحول الى عامل فعال في تجسير الهوة بين المواطنين المنقسمين بين علمانيين وإسلاميين، بين سنة وعلويين، بين اتراك وجماعات قومية أخرى، بين أقلية "متعصرنة" وأكثرية متمسكة بتقاليدها، ما جعل التماسك الاجتماعي ضعيفا والاندماج الوطني هشا. فالعلاقة بين ابناء الغالبية المسلمة (سنة – علويون) ليست جيدة، وقد شهدت توترات ومواجهات عنيفة انعكست سلباً على الاستقرار الداخلي، والتطور الاقتصادي- الاجتماعي قسّم البلاد إلى نصفين غير متكافئين. نصف غربي متقدم، حيث تنتشر الصناعات ومراكز التجارة والإعلام الرئيسية، ونسبة تكاثر سكاني ضعيفة، ومستويات المعيشة تقارب المقاييس الأوروبية، مقابل نصف شرقي يضم المناطق الواقعة شرق العاصمة أنقرة، حيث الزراعة تقوم على علاقات متخلفة ونظام إقطاعي عشائري طاغ، وتدني في المستوى المعيشي والتعليمي مع نسبة تكاثر سكاني عالية. وقد زادت الهوة النفسية بين الطرفين اتساعاً نتيجة هجرة أعداد كبيرة من المناطق الشرقية إلى المناطق الغربية وإقامتها في أحياء فقيرة حول المدن واكتشافها عمق الفجوة الفاصلة بين الطرفين معيشياً وسلوكياً. هذا بالإضافة الى تناقض خيارات النظام بين الانتماء التاريخي والخيار السياسي، فسعيه، لاعتبار تاريخي وجغرافي، الى لعب دور مركزي في العالم الإسلامي، وتطلعه، لاعتبار سياسي، الى الاندماج في الغرب عبر السعي الى الانضمام الى الاتحاد الاوروبي، ناهيك عن عضوية تركيا في حلف الناتو قد أضعف موقفه امام الشرق والغرب في آن واحد، وحّد من قدرته على تسويق نموذجه، خاصة في العالم الاسلامي، فقد نُظر الى توجهه الى العالم الاسلامي كخيار اضطراري بعد ان رفضت دول الاتحاد الاوروبي دخوله في الاتحاد، وان تمسكه بعلمانية الدولة غير مقبول، ورأت دول اوروبية في قراراته ارتدادا عن العلمنة والانفتاح.

تستدعي اللحظة السياسية بتعقيداتها ومخاطرها سياسة أخرى اساسها التخلي عن اوهام القيادة، فليس هناك تجربة تصلح لكل الشعوب الاسلامية ومجتمعاتها المعقدة والضعيفة والمفككة، والانحياز لخيار التعاون والتنسيق بينها بدل ان تهدر طاقاتها في صراع عبثي على قضية فارغة، وتعزيز المشتركات وتقديم يد العون للدول الاسلامية ومساعدتها للتخلص من مشكلاتها ومتاعبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فالتعاون والتكامل وتمتين المشتركات خدمة لدولها وللعالم اجمع.

اكراد كوباني: قصص الحرب والنزوح

كمال شيخو

جلست تشاهد سحب الدخان المتصاعدة من على فوق مدينتها كوباني بعد ان أجبرت مغادرتها قبل نحو عشرين يوماً. زكو والبالغة من العمر 62 سنة، كانت تأتي كل عام زيارة الى قرية "بغجة" التركية والتي تبعد خمسة كيلو متر شرق كوباني، لتطمئن على اقربائها في الجانب التركي فيما سبق، ولكن هي الان لاجئة عند أبنة أختها بعد ان فرت أثر المعارك الطاحنة في بلدتها.

"يفترشون الارض ويلتحفون السماء"

وبعد اشتداد أعمال العنف والمخاوف من التعرض لانتهاكات الجهاديين المتطرفين، وتكرار مشهد شنكال العراق، دفع غالبية المدنيين من القرى والضواحي إلى الفرار إلى مركز المدينة في البداية مساء يوم الاحد (14 أيلول/سبتمبر) الشهر الماضي، إلا أنهم وبعد أيام من احتدام الاشتباكات العنيفة وسيطرة تنظيم "داعش" على 64 قرية، هرب هؤلاء مع سكان المدينة في يومي (18و19 أيلول/ سبتمبر) إلى الحدود التركية.

زكو أعربت أنها لم تتخيل أن تصبح في يوم من الأيام لاجئة وليس بمقدورها العودة الى بيتها الذي بقي فيه ذكرياتها وممتلكاتها ونقلت "ما حسنا نجيب شيء من البيت، حملنا فقط المصاري والذهب وفررنا بروحنا".

كوبان والذي لم يتمالك نفسه، كانت دموعه أسرع من كلماته. قالها بحسرة: "25 سنة وأنا أبني مستقبلاً أفضل لأولادي. تركنا كل شيء في كوباني وهربنا"، كوبان وغيره تغيرت أحواله وأسرته اللاجئة في مدينة سروج التركية. نزح عن قريته "ديدقي- 7 كلم جنوب كوباني" ليلة بدء قوات التحالف قصف مقرات داعش، وصل إلى مدينة سروج التركية. وعن مشاعره المشوشة عبر أنه "في البداية ارتفعت معنوياتنا بعد القصف الجوي للتحالف الدولي على داعش، ولكن يوماً بعد يوم أصبح اليأس سيد الموقف"، فالحرب وبحسب كوبان ستمتد لسنوات، والقصف الجوي لم يمنع زحف الجهاديين نحو مسقط رأسه، وأضاف "وصلوا إلى كوباني قبل أيام، ولا اعتقد أن هذه الحرب قصيرة الأمد، ولا نأمل عودة قريبة إلى ديارنا، أعلم تماماً أننا سنمر بأيام صعبة"، وعن الصعوبات التي تعانيها الأسرة قالت دلزوز، زوجة كوبان التي كانت تجلس إلى جانبه في صالة أفراح: "النساء والأطفال الأكثر تضرراً، لا مكان يأويهم ولا مأكل، هنا يقدم فاعلو الخير ما تيسر، ولكن ينقصنا الكثير حتى مراحيض الحمام نحرم منها أحياناً، لكثرة الأعداد التي نزحت إلى هذه المدينة الصغيرة".

وفتح أهالي سروج التركية الجوامع وصالات الافراح والمنازل المهجورة والمحال التجارية المغلقة، والمستودعات لتأوي الاعداد الكبيرة من النازحين.

هؤلاء جلسوا على أمتعتهم التي حملوها معهم من ديارهم، وبقي الكثير من الرجال على الحدود لحماية سياراتهم ومواشيهم. أما اغلبية النازحين قصدوا مدينة سروج والبقية سافر قسم منهم الى مدن أورفة و ديار بكر وغازي عنتاب، ومرسين وغيرها من المدن التركية.

"ينحرون الرجال ويتزوجون النساء عنوةً"

المعارك التي تشهدها كوباني خلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة والتي وصفت بالأعنف منذ بدئها الصيف الماضي، دفعت أكثر من 200 ألف لاجئ النزوح إلى الحدود. وقد لجأ الكثيرون منهم إلى أقربائهم في الجانب التركي، ذلك أن العديد من القرى المحاذية للحدود من الجانبين السوري والتركي تربطها علاقات قرابة فيما بينها.

ومن بين هؤلاء النازحين حسو، الذي هرب من مدينته رفقةً مع عائلته، مصطحباً معه سيارته وبقرته وماشيته. ركنها بالقرب من الأسلاك الشائكة الفاصلة بين الحدود السورية التركية، كما فعل كل الذين يمتلكون سيارات أو ماشية من بقر وغنم، وظلوا هناك لحراستها. وعندما بدأ حديثه من الجانب قالها حسرةً "لا نملك شيء غير هذه الماشية والسيارة، اموت هنا أفضل من الموت بقذيفة او من حرقة قلبي".

وكانوا قبل يومين تعرضوا لهجوم من قبل جهاديي

تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" أمام أعين الدرك التركي الذي لم يحرك ساكناً. وكان حسو وقتها متواجدا في المنطقة الحدودية من الجانب السوري. يروي الحادثة قائلاً: "لقد تحدثوا معنا في البداية وقالوا لنا إنهم يريدون أخذ سياراتنا لأنهم يحتاجونها في القتال". ويضيف: "قلت لهم: ولماذا تريدون أخذ سياراتنا؟ هل الشرع يسمح لكم بذلك ونحن مسلمون مثلكم؟ فردوا عليّ: لقتال الكفار". ويوضح قائلا: "الكفار هو أنا وأبنائي وأقربائي، فأي دين سماوي يسمح بالسطو على أملاك الناس بحجة قتال الكفار؟".

ويصف حسو مظهرهم قائلاً: "كان شعرهم طويل ومخيف ولحاهم طويلة. يلبسون أزياء عسكرية غير نظيفة أو ملابس أفغانية. يربطون رؤوسهم بأوشحة سوداء رسم عليه علمهم الخاص"، ويضيف قائلا: "هؤلاء لا يشبهون البشر في شيء". وعن جنسياتهم أردف قائلاً: "لهجتهم العربية كانت توحي انهم من دول المغرب العربي كونها كانت ثقيلة بعض الشيء، ومن بين هؤلاء كانوا اجانب لا يعرفون التحدث بالعربية".

من جهته، أكد حجي مامو أن الكثيرين من أقربائه من كبار في السن والعجز بقوا في قراهم بعد اجتياح مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" لها، لافتاً إلى أنهم اختبأوا تحت الأرض إلى حين انتهاء المعارك الطاحنة. ويضيف حجي مامو: "نتصل معهم يومياً للاطمئنان عليهم. وينقلون لنا ما يحدث هناك. لقد أخبرونا بأن أغلب البيوت تعرضت للسرقة والنهب، وأخرى أُحرقت"، وينحدر حجي مامو من قرية تاشلوك. وتابع حديثه: "لقد اختطفوا خمسة رجال وامرأتين من قريتنا"، معرباً في الوقت نفسه عن قلقه الشديد حول ما يمكن أن يلحق بهم. وقال: "لقد سمعنا بأنهم ينحرون الرجال، فيما يحتفظون بالأطفال ويرغمون النساء على التزوج بهم"، موضحاً "لا نعلم إن كانوا أحياء أو أموات، فليكن الله معهم!"

نزوح أكثر من 200 الف لاجئ

محي الدين شاملیان مسؤول فرع الهلال الاحمر في كوباني أو " Hiva Sor" كردياً، وضح أنه في اليوم الأول والثاني (19 و20 سبتمبر أيلول) واليوم التاسع (26 نفس الشهر) كانت نسبة النازحين أكبر، وقدر عدد العابرين بأكثر من خمسة عشر ألف شخص دخلوا الجانب التركي". وأفاد "يقدر عدد اللاجئين بأكثر من 200 ألف دخلوا من نقطة مرشيد بينار وجولك التركية، وتم

إرسال جميع الوافدين من باقي النقاط إلى هذه النقط كونها كانت أكثر آمناً"، وأضاف "بحسب الاحصائيات التركية الرسمية الصادرة عن مكتب شؤون اللاجئين والذي فتح مكتباً هنا، بلغ عدد العابرين 180 ألف، عدا أول يومين ولم يتسنى لهم تسجيل النازحين، لذلك نقدر عدد الوافدين أكثر من 200 ألف شخص دخلوا الاراضي التركية منذ يوم الجمعة الماضي". ولخص كلامه: "الان الحدود مغلقة منذ يوم الاثنين الماضي بعد ان وصلت داعش الى مركز المدينة، وبحسب مصادرنا لم يتبقى الكثير من المدنيين، قلة فقط اختاروا البقاء هناك ولا نستطيع تقدير عددهم بالضبط".

قصة "المقاتل الشجاع"

الدكتور محمد عارف علي (اخصائي في الأشعة التشخيصية وطبيب ميداني) عاد للتو من مدينة كوباني المحاصرة، التي شهد فيها حادثة تخلص من خوف فزاعة تنظيم "الدولة الإسلامية" الذي نشر مقاطع مصورة عديدة على الانترنت، يظهر فيها كيف يقطع رؤوس من يقع لديه في الأسر. ويروي الطبيب قصة كان لها وقع كبير عليه، قائلاً: "عشية ليلة العيد وصل إلى المشفى الميداني الذي أعمل فيه مقاتل من وحدات حماية الشعب وكانت يده اليسرى تنزف بعد أن تعرض شريانه الرئيسي لجرح. وكان يتعين إجراء عملية جراحية سريعة على يده أو بترها."

ويضيف الطبيب قائلا: "وقتها كنا نحاول تخديره، ولكنه كان يرفض ويقول لنا اقطعوا يدي لكي أعود بسرعة إلى القتال". ويوضح أن الطاقم الطبي وقف للوهلة الأولى عاجزاً أمام حالته، ولكنه سرعان ما قرر إجراء العملية بدون تخدير. "بقينا حتى ساعة متأخرة من الليل، والعملية نجحت ولكن كان يجب متابعة الجريح." المفاجئة كانت في اليوم التالي عندما ذهب الطبيب للاطمئنان على صحة المريض. وتابع كلامه: "عندما وصلت إلى غرفته لم أجده، وقالت لي الممرضة المرافقة له بأنه عندما أفاق من النوم لبس زيه ورفض البقاء في المشفى، مصراً على الذهاب إلى القتال". بعدها لم يعد الشاب إلى المشفى لإكمال العلاج أو فك ضماد جرحه، عل ما يروي محمد عارف. وبعد تلك الحادثة بعدة أيام عاد الشاب ذاته مرة ثانية إلى المشفى، ولكن ليس لإكمال العلاج. وبحسب الطبيب "كان مصاباً في قدمه وعندما وصل إلى باب المشفى قال لي ضاحكاً: جرحي أجبرني على العودة إليكم".

فالغارات التي تشنها طائرات التحالف الدولي على مواقع تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" لم تثنه عن التقدم، لكن المعارك بين المقاتلين الأكراد وعناصر هذا التنظيم الإرهابي مستمرة داخل أحياء كوباني، التي تشهد حرب شوارع بعد تقدم التنظيم في الجانب الشرقي والجنوبي من المدينة ورفعوا رايتهم لأول مرة على أحد المباني.

ويذكر ان "كوباني" باللغة الكردية واسمها الرسمي "عين العرب"، لغة سكانها الام الكردية، وهذه المدينة تقع على بعد 180 كيلومترا شمال محافظة حلب. تفصل بينها وبين الحدود التركية 4 كيلومترات شمالاً، نزح عنها أغلب المدنيين في أكبر موجة نزوح شهدتها سورية منذ بداية اندلاع الحراك الشعبي المناهض لنظام الحكم منذ آذار/ مارس عام 2011.

كلنا داعش.. ولتسقط كوباني!

بسام الأحمد*

لعلّ أكثر ما يُشعر المواطن السوري الكردي بالمرارة الآن وأكثر من أيّ وقت مضى هذه الجوقة الإعلامية التي صاحبت محاولات تنظيم "داعش" السيطرة على مدينة كوباني -عين العرب - ذات الأغلبية الكردية، ولعلّ أقسى ما يحزّ في نفس لاجئي هذه المدينة المنكوبة هو التشفي الشبه علني من قبل بعض الأشخاص بالأخبار القادمة من مدينتهم المنكوبة على يد تنظيم أقلّ ما يقال فيه بأنّه عدو الثورة السورية وعدو للسوريين.

كنت أظنّ إلى فترة ليست ببعيدة أنّ الثورة السورية قامت بإعادة تشكيل للهوية السورية الممزقة، وكنت أؤمن بشكل أكبر أنّ من ذاق الويلات على يد آل الأسد وداعش سوف يكون من أوائل المتضامنين مع أي ضحية جديدة تتعرض للممارسات التي تقوم بها هاتين الجهتين المجرمتين، ولكن ما حدث ويحدث يقول ذلك ويدعونا إلى التفكير والمراجعة الجدّية حول مفهوم الهوية السورية الجديدة والتي بدأت ملامحها بالظهور إبان انطلاقة الثورة السورية عوضاً عن "الهوية السورية القديمة" والتي أعتقد أنّ معظم المراقبين والمهتمين بالشأن العام السوري يجمعون على وجود تشوهات كبيرة فيها، وكيف أنّ نظام الأسد اختزل العديد من عناصرها في شعارات فارغة واقتات على أكاذيب كثيرة ولفترات طويلة منها أكذوبة "حماية الأقليات"، حيث كانت تقوم إحدى ركائز هذه السياسة - التي أفرزت هذه الهوية - على منع أي تلاقي ما بين مكونات المجتمع السوري، وأدّت معظم المحاولات التي قام بها العديد من المعارضين الوطنيين السوريين بأصحابها إلى غياهب السجون لسنوات عديدة.

عندما انتفض الشعب السوري ضد هذا الظلم والطغيان كانت المدن ذات الأغلبية الكردية من أوائل المدن التي انضمت إلى ركب الثورة (قامشلو وعامودا وسري كانيه وكوبانيه ....) ولعلّ المظاهرة الأولى التي انطلقت من أمام جامع قاسمو في قامشلو -القامشلي كانت بمثابة الصدمة الكبرى الأولى للنظام وأزلامه في المدينة، فقد فاجأ الشباب المتظاهر جميع المراقبين بالهتافات الوطنية التي صدحت بها حناجرهم هتفوا فيها لدرعا -مهد الثورة- واللاذقية وحمص -عاصمة الثورة- وعبروا فيها عن تضامنهم مع المدن الجريحة الأخرى، وكانت الملفت الأبرز - برأيي - هو رفع العلم الوطني السوري فقط (العلم الذي يستخدمه نظام الأسد حالياً) وأتذكر جيداً كيف أنّه وفي المظاهرات التي تلت المظاهرة الأولى تم رفع أطول علم وكان يبلغ طوله أكثر من خمس وعشرين متراً وكتب بداخلة كلمة الحرية (آزادي) باللغة الكردية، وأتذكر أيضاً كيف أنّ أحد الشباب الكردي الثائر كان يقول لنا متهكماً كيف أنّ أحد العناصر الأمنية - وبعد طلبه إلى التحقيق من قبل أحد الأفرع الأمنية - كان يقول له بكل "وطنية": (ارفع علم كردستان وطالب بالانفصال والدولة الكردية وما تشيل العلم الوطني السوري وما تهتف لدرعا وحمص .....).

في الوقت الذي كان فيه "معارضو" الخارج يتسابقون على الظهور في القنوات الإعلامية ويتبارون في بيع الأكاذيب للشباب الثائر -وخاصة قبل البدء بتشكيل الأجسام المعارضة - كان النظام وتحديداً في المناطق الكردية يعمل بخبث وصمت مع العديد من الجهات (الكردية والعربية والمسيحية) على حدا سواء، ووضع نصب عينه الكثير من الأهداف التي أتت أُكلها لاحقاً، كان أولها محاولات إخماد الحراك الشبابي الثائر في المدن الكردية -خاصة بعد انضمام العديد من الشباب العربي والمسيحي إلى هذه المظاهرات - وتجلّى ذلك بشكل عملي في الملاحقات التي قام بها ضد القيادات الشبابية وزجّ بعضهم في السجون إضافة إلى نفي بعضهم الآخر، وكانت بعض الأطراف الكردية الأداة غير المباشرة لتحقيق هذا الهدف الأول خاصة من خلال وصم هؤلاء الشباب بعملاء أردوغان تارة والإسلاميين والإخوان المسلمون تارة أخرى.

كانت هذه الأعمال المنافية لقيم الثورة تتطلب حاضنات شعبية لترويجها،

ولم يكن من السهولة بمكان على هذه القوة المتحالفة مع النظام بشكل خفي -في البداية - أن تقوم بهذه الأعمال دون اللعب على أوتار معينة، أو استغلال حاجات الناس اليومية الأساسية، وتجسّد هذا الشيء في إعطاء النظام صلاحيات توزيع مواد أساسية لحزب الاتحاد الديمقراطي (بي واي دي) مثل مادة الغاز والمازوت والخبز، ولعلّ جميعنا يعرف أهمية هذه المواد في حياة المواطنين وتحديداً مادة المازوت في المنطقة الشرقية حيث يعتمد معظم المزارعين على هذه المادة في عملية استخراج المياه الجوفية وسقاية المحصول الزراعي منه، وكان ذلكم المدخل الأول للبدء في شراء الذمم وتخيير المواطنين ما بين مساندة الحراك الثوري "وعدم الحصول على شيء" أو التزام الصمت أو/و تأييد هذا الحزب حتى يخولك ذلك الحصول على ما تريد، وقد عقب ذلك سماح النظام لهذا الحزب والعديد من المليشيات العربية الأخرى بنشر حواجز عسكرية في مداخل المدن لتتطور الأمور لاحقاً إلى السماح بإنشاء كتائب مقاتلة نظامية تحت مسمّيات مختلفة.

كانت أحداث مدينة سري كانيه (رأس العين) بداية الشرخ الحقيقي ما بين الجسمين العربي والكردي ضمن الحراك الثوري السوري، والذي تجلّى بشكل أوضح في تلك المعارك التي خاضتها قوات الحماية الشعبية (ي ب ك) وتنظيم داعش إضافة إلى تنظيمات إسلامية أخرى في عدة مدن ذات الأغلبية الكردية في منطقة الجزيرة السورية، وسط صمت شبه مطبق من "الممثل الرسمي" للثورة السورية "الائتلاف الوطني" وجاءت أحداث مدينة كوباني (عين العرب) بمثابة الشعرة التي قصمت ظهر البعير بين هذين الجسمين، ولعّل توقيت الهجوم من قبل داعش والذي جاء إبان ما سمّاه بعض النشطاء "العدوان" السافر على سوريا قد لعب دوراً مهماً في "المعارك الإعلامية" التي صاحبت هذه الأحداث، فعلى ما يبدو قد حازت داعش على تعاطف مضمر من قبل العديد من النشطاء تحت مسميات وأسباب مختلفة كان أوضحها "التغاضي عن إرهاب النظام وضرب داعش"، وأياً كانت الأسباب التي أدّت إلى ما أدت إليه فإن دعاة الهوية السورية الجديدة، سوريا الثورة، دولة القانون والمواطنة والمؤسسات المنشودة مطالبون الآن أكثر من أيّ وقت مضى بالوقوف بشكل إنساني أولاً ووطني صرف ثانياً، أمام مأساة مئات الآلاف من المواطنين الكرد السوريين الذين أجبروا على الخروج من بيوتهم وتمّ تهجيرهم قسراً كما فعل قبل ذلك نظام آل الأسد مع عشرات المدن والبلدات والقرى السورية الأخرى، ومطالبون أيضاً بقطع الطريق أمام أزلام وشبيحة داعش في الثورة السورية، وتعريتهم، وبالمقابل المعرفة الكاملة أنّ الكرد السوريين كانوا من أوائل ضحايا حزب الاتحاد الديمقراطي والذي أفرغ المنطقة الكردية بشكل ممنهج من النشطاء وخصومه السياسيين ونفى معظمهم إلى كردستان العراق، وإنّ الوضع في مدينة كوباني أخذ رمزية كبيرة رأى فيه عدد كبير من الكرد حول العالم معركة وجود مصيرية خاصة وأنّ دماء كرد "شنكال" من أبناء الديانة اليزيدية لم تجف بعد تعرضهم لعمليات تطهير عرقي واضحة على يد هذا السرطان الذي تسلل إلى سوريا بمباركة ومساعدة أطراف سورية وإقليمية ترى نفسها الآن في ورطة كبيرة تحاول استغلال معاناة أهل هذه المدينة السورية الكردية بأبشع الصور للتغطية على فشلها الذريع والفاضح من التعاطي مع هذا التنظيم.

*المتحدث الإعلامي باسم مركز توثيق الانتهاكات في سوريا

هاني عباس.. "بقجتي وطني"

يوثق الألم والوجع يوماً بيوم..

ليلى الصفدي

ربما لا يتاح لغالبية الفنانين معايشة الموت والألم كما عايشته التجارب الفنية السورية.. فمن تحت النار والركام والبيوت المدمرة.. ورغم كل شيء، تنطلق حناجر تغني.. وأصابع تعزف.. وريشة فنان يرسم الموت حلماً بالحياة.. يرسم القيد حلماً بالحرية.

الفنان هاني عباس الذي كان يحلم بفلسطين من مخيمه المحاذي لمدينة دمشق.. صار يحلم بالمخيم بعد أن أجبره الموت كما مئات الألوف على الهجرة من الوطن إلى شتات لا تُعرف نهايته..

"تحكيليش عن الوطن ... احكيي عن الناس كيف عايشة ... كم أم بلا ولد و كم ولد بلا اب وكم عيلة بلا بيت وكم بيت بلا قذيفة وكم قذيفة بلا هدف وكم هدف بلا أرض وكم أرض بلا خطوات ... وكم خطوة بلا قدم ... وكم قدم بلا جسد ... وكم جسد بلا روح ..."

هاني عباس يرسم بالكلمات كما يرسم بريشته.. هاجسه الإنسان يحمل همه وحلمه أينما حلّ، ويواجه قصف الطائرات بالسخرية.. وقسوة الجندي بالوردة.

ولد الفنان هاني عباس عام 1977 في مخيم اليرموك بدمشق، وبدأ الرسم منذ الصغر ليستقر لاحقاً على رسم الكاريكاتير، حيث أقام أول معرض له أواخر التسعينيات. نشر رسومه في بعض المجلات ثم انتقل بعدها للاحتراف والنشر في الصحف المحلية والعربية.

فاز عبّاس بعدة جوائز دولية ومحلية وكان عضواً مشاركاً في لجان التحكيم لعدد من مهرجانات الكاريكاتير العربية والدولية.. ومن أبرز الجوائز التي نالها جائزة رسام الكاريكاتير الصحفي للشجاعة للعام 2014 جنيف، جائزة حرية الصحافة العالمية الدوحة 2013، جائزة الرسامين المحترفين في سوريا لثلاث دورات، جوائز فخرية وتقديرية من عدة مهرجانات دولية، بالإضافة إلى عضوية لجان التحكيم في مهرجان سوريا الدولي للكاريكاتور ثلاث مرات، ومهرجان ناجي العلي الاول، ومهرجان غزة الدولي للكاريكاتير، ومهرجان (بديل) للكاريكاتير.

عن تجربته الابداعية في المخيم خلال الثورة السورية، يقول هاني عباس: "كان طبيعياً بالنسبة لي أن أكون مع الناس، وأن اقف الى جانبهم في مطالبهم ورفضهم للظلم والقمع والتضليل، وأن أكون مع ابسط حقوق الانسان في ان يتكلم وأن يعبر عن رأيه".

ويضيف: "في المخيم، وقبلها في ريف دمشق، كنت أوثق الألم والوجع يوماً بيوم ولحظة بلحظة.. لم يكن الأمر سهلاً وقتها، وخاصة عندما بدأ القصف والحصار. بعد أن وجدنا أنفسنا وجهاً لوجه مع القذائف وآليات القمع التي بدأت بالعصا لتفريق المتظاهرين وانتهت بقصف الطيران... تلك اللحظات المليئة بالمخاطر والمليئة بالوجع اليومي تحت القصف... ومشاهدة البشر يتحولون الى أشلاء... انتظار الموت في أية لحظة... فقدان الأصدقاء... الجنون الذي يملأ المكان...

حينها كانت رسومي تظهر أكثر وضوحاً وأكثر تأثيراً، وتوصل صوت الناس البسطاء الذين يموتون هناك.. الكثير ممن وقفنا معاً ووقفوا معي ساعدوني لأكون اليوم هنا... واتكلم عن وجعهم".

لا يستطيع المتابع لصفحة الفنان هاني عباس الا أن

يذهل من تلك الغزارة في انتاجه الفني، ليبزغ في الذهن السؤال: هل بإمكان الفنان المهاجر مجاراة الالم والمعاناة والتعبير عنها في ابداعاته، وما الفرق بين التجربتين في الداخل والخارج؟

هاني الذي يحمل تعب والام اوطانه في قلبه لا يعيقه بعد أو رحيل بعد رحيل عن رسالته النبيلة، نقرأ على حائطه الافتراضي "مرة أخرى ... الرحيل اليوم... الى المنزل الرابع عشر... (بقجتي ... وطني)"

لكن يبدو أن السؤال، ومن دون قصد، يستدعى إلى الذهن تلك المزايدات التي تحفل بها المنابر ومواقع التواصل الاجتماعي حول أحقية الداخل على الخارج.. والتي تدفع ناشطي الخارج إلى موقع الدفاع على الغالب "هنا في المهجر لا زلت ارسم بنفس النفس وكأنني لا زلت في الوطن"... يجيب هاني، "وذلك رغم كل الاساءات التي توجه عادة إلى اللذين غادروا او من هم خارج البلاد... هل يمكن أن نطلب ممن هم خارج فلسطين من أفراد أو منظمات أو دول أن تصمت و أن لا تتحدث عن فلسطين لمجرد أنهم خارجها؟؟ على أية حال وبالنسبة لي ما أقوم به هو من أجل الناس فقط وليس لأي فصيل أو تجمع أو حزب أو... الخ"

ويضيف: "بالنسبة لي وكثر يعرفون أنني لم ولن أتخذ الرسم كمهنة أجني المال من وراءها، بل هي رسالة أقوم بها بشكل طوعي وهي مسؤولية متعبة. لكن يجب ان استمر بها.. ما أعيشه الآن هو عمر اضافي بعد ان خرجت من سوريا... وقد كرسته لأتابع ما بدأت به وابقى مع الناس.. و ان لا

البقية في صفحة 14

فصل في الجحيم السوري

ماهر مسعود

مازلنا بعيدين عن تقرير مصيرنا والتحكم في خياراتنا، أو في الحقيقة ليس لدينا خيارات، بل مجرد طرق إجبارية تم رسمها سابقاً بيد نظام استفرد بنا بكل طاقاته الحربية وقوته العارية وتفوقه العسكري والتنظيمي والمادي، ويتم رسمها اليوم بأيادٍ إقليمية متنازعة تديرها أمريكا من الأعلى وإسرائيل من الخلف.

ليس معنى ذلك هو افتقاد الإرادة العامة بالتغيير، ولا أننا مجرد عجينة تأخذ الشكل الذي يريده من يقوم بعجنها، بل معناه إن محصلة جمع القوى المؤثرة في النكبة السورية وعلى أرضها، والتي تشد كل منها الوضع باتجاهها، تساوي الصفر. وأن إرادة الشعب السوري التي خرجت تطلب الحرية لم تعد في مواجهة النظام وحده، بل أصبحت في مواجهة التاريخ بكل قواه الفاعلة فيه وفينا اليوم، مثلما أصبحت في مواجهة انقساماتها وتعددها وضياعها في التعدد والاختلاف.

تعيش سوريا اليوم فصلاً من فصول الجحيم المستمر منذ ثلاث سنوات ونصف السنة، ويمكن تسمية هذا الفصل بفصل استواء الجحيم، أو فصل العدمية بأكثر معانيها سلبية وفوضى وعدم اكتراث، حيث إن الحل الخلاصي المتفائل غير موجود وغير واقعي ولا قريب المنال، وحيث إن المفاضلة الواقعية المطروحة هي بين السيء والأسوأ، في غياب أي "أفضل" قابل للحياة والاستمرار والثبات والقوة.

للوهلة الأولى يمكن تبرير الاستراتيجية الأمريكية؛ التي تبدو أكثر وضوحاً اليوم مما سبق، بشكل عقلي وعقلاني، حيث أنهم لا يريدون التخلص من الأسد بسرعة في غياب البديل القوي والمتماسك والمعتدل والقادر على حفظ مصالحهم بقوته، ولا يريدون انهيار ما تبقى من مؤسسات الدولة الهرمية كالجيش والقضاء والتعليم وغيرها.. التي تبدو متماسكة في شكلها البيروقراطي رغم انهيارها في المضمون، ولا يريدون لداعش أو جبهة النصرة أو حتى الكتائب الإسلامية القريبة منهما أن تحتل دمشق في ظل الضعف البنيوي للإئتلاف بوصفه ممثلاً سياسياً للمعارضة، والضعف العسكري لكتائب الجيش الحر (الذي ساهموا هم، أي الأمريكان، بإضعافه) وعدم وجود قيادة مركزية له قادرة على فرض كلمتها على الجميع.

كما أن الحل السياسي هو الحل الوحيد الذي يضعه الأمريكان في أفق الحرب السورية، وهو الحل الذي يعني من منظورهم التفاوض بين المهزومين على تقاسم الهزيمة والبلد المدمر، لا مشكلة لديهم من حيث المبدأ في التقسيم أو الفدرالية أو الدولة المركزية، ولا مشكلة في طول الزمن وعدد القتلى والمفقودين والنازحين والمعاناة الإنسانية الناتجة عن ذلك، فالدم المراق هو "مسؤوليتنا" و"قرارنا"، بكل ما يعنيه ذلك من سفالة وانحطاط قيمي في هذا النوع من التعامل وتحميل المسؤولية، لكن من قال أن الأخلاق والإنسانية هي مهمات أمريكية فيما يخصنا، ومن قال من جهة أخرى أنهم مسؤولون عن ابتلائنا بأقذر أنواع الديكتاتوريات في التاريخ المعاصر، فمن المعروف أن "الطغاة يجلبون الغزاة"، كل أنواع الغزاة.

الاستواء في الجحيم يعني فيما يعنيه، أن لا فرق واسع في المدى القريب بين رحيل الأسد أو بقاءه طالما أن القوى الإقليمية والدولية المؤثرة على الأرض متصارعة وحلبة الصراع سورية، وطالما أن موازين القوى على الأرض غير آيلة في المدى المنظور إلى انتصار ساحق لأي من المتقاتلين وداعميهم، فالموت والنزوح والتفكك والفقر جميعها مستمرة وتتمدد، ومن لا تهجّره قوات الأسد والميليشيات الشيعية المتحالفة معه، تهجّره داعش كما في كوباني، ومن لا تقتله ضربات الأسد وداعش المباشرة، تقتله الصفقات والحسابات الباردة لكل من أمريكا وتركيا وإيران وروسيا والسعودية وقطر بشكل غير مباشر.

قبل المجزرة الكيماوية في آب 2013، ثم صعود داعش السريع إلى واجهة المشهد بعدها، كنا نقول أن كل يوم يتم فيه الإسراع بالخلاص من الأسد هو توفير لآلاف المآسي البشرية في مجمل أنحاء سوريا، لكن اليوم بعد دخول الاستراتيجية الأمريكية مرحلة التنفيذ والإدارة المباشرة للصراع عبر التحالف الذي أنشأته، ووضع الأولوية الأمريكية لمكافحة الإرهاب بأعراضه الداعشية والقاعدية دون أسبابه الأسدية، لم يعد توفير المآسي متوقفاً على رحيل الأسد وحده كنقطة مركزية في التحليل، طالما أن القوى الذاتية للثورة ليست قادرة على إزاحته بمفردها، والإدارة الأمريكية للصراع على النحو الذي اتخذته في مكافحة الإرهاب، تحول معنى الصراع تحويلاً كاملاً دون رجعة، وتنقل المسؤولية التي تتحملها هي أولاً، والدول الاقليمية التي تدخلت بصمت وتغطية أمريكية ثانياً، نحو السوريين الذين عليهم أن يختاروا؛ بعد تعجيزهم، إزالة الإرهاب الإسلامي ثم العلماني بالتفاوض السياسي فيما بينهم تحت السقف الأمريكي والرؤية الأمريكية للمنطقة.

ما تغفله تلك الرؤية الوظيفية والأداتية غير منافاتها للحق والعدل الضروريان بالمستويات الدنيا لإقامة التعايش، هو أن مساواة القاتل بالضحية لن تنتج صلحاً سنياً/شيعياً تحت ضغط الأمر الواقع المفروض أمريكياً، ولن تنتج اعتدالاً قابلاً للحياة عند أي من الأطراف المتصارعة، بل مزيداً من الإرهاب والإرهاب المضاد لا أكثر ولا أقل.

الجانب الأخطر من كل ما سبق فيما نرى، هو أن السوريين الذين صنعوا بتضحياتهم أعظم ثورات العصر الحديث، لا يكفون عن الابتعاد عن صناعة دولتهم أو مصيرهم القادم، بل إن مصيرهم هذا، بات مرهوناً على نحو غير مسبوق، بكل ما هو في الحقيقة ليس سورياً، ولا يعنيه شعب سوريا ولا مصلحة السوريين لا من قريب ولا من بعيد.

الأسد بين تموضعين

شوكت غرز الدين

اتخذ "النظام السوري" تموضعاً استراتيجياً له، يقوم ويرتكز على ثلاث مقولات هي "السيادة الوطنية والمقاومة والممانعة وحماية الأقليات". وتم توظيف هذا التموضع منذ قيام "ثورة الحرية والكرامة" في تقديم رأس النظام وبقاءه على رأس الهرم بوصفه "ضرورة موضوعية" بحجة الحفاظ على أمن واستقرار سوريا والمنطقة.

إنه تموضع استباقي يحيل إلى المواجهة والاشتباك العسكري ضد التحالف الدولي/العربي. ثم اتخذ "النظام السوري" له تموضعاً مغايراً ومخالفاً للتموضع السابق بالتساوق مع إكمال مهمة تسليم الأسلحة الكيماوية والانضمام إلى "منظمة حضر السلاح الكيماوي" أولاً، وثانياً مع بدء ضربات التحالف الدولي/العربي الذي تقوده "الولايات المتحدة الأمريكية" لمواقع تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" أو ما اصطلح على تسميته "داعش ISIS" الواقعة تحت السيادة السورية والتي من المحتمل أنْ تمتد هذه الضربات لتطال مواقع التنظيم في شرق المتوسط ولا تقتصر على العراق وسوريا. وهذا التموضع الجديد يختلف عن القديم بالارتكاز ولكنه يتفق بالوظيفة؛ فهو يقوم ويرتكز على مقولات المنفعة والخروج بأقل الخسائر والبحث عن مقعد إلى جانب قائد التحالف...إنه تموضع مكيافيلي براغماتي واقعي يرتكز إلى عدم التكافؤ في موازين القوى بين النظام السوري وحلفائه العضويين كروسيا وإيران وملحقاتهما، وبين التحالف وملحقاته. ويرتكز أيضاً إلى مفاعيل الزمن ودورها وإلى المصلحة المتبادلة والمشتركة بين التحالف وبينه. ويتم توظيف هذا التموضع الجديد للمحافظة على رأس الهرم "كضرورة موضوعية" على الرغم من الاختلافات المتناقضة بالمرتكزات. فإذا أجرينا مقارنة بين التموضعين نجد أنه ثمة تناقض بينهما، فكيف انتقل النظام من السيادة الوطنية إلى الدعوة للتنسيق مع التحالف على سوريا، وكيف انتقل من المقاومة والممانعة إلى تسهيل مهمة التحالف وفسح الطريق أمامه، وكيف انتقل أيضاً من حماية الأقليات إلى التخلي عنها تماماً؟!! هنا يجب الانتباه إلى أنَّ الثابت في السياسة السورية رغم المتغيرات الكثيرة -منذ الأسد الأب- هو عدم الاشتباك مع المجتمع الدولي وعدم الدخول ضده في مواجهة عسكرية، ومحاولة التداخل معه لتحقيق مكاسب له بقدر ما تسمح ظروف كل حالة من حالات المواجهة. وعلى ما يبدو أن هذا الثابت إيراني روسي ويحكم حزب الله أيضاً. بهذا الصدد طالعنا وزير الخارجية السوري استناداً إلى التموضع الأول: "من يريد الاعتداء على سورية لا يوجد لديه مبرر إلا بالتنسيق معنا"... وقالت "بثينة شعبان": "دمشق قد تسقط الطائرات الأميركية، لأنها أتت من دون إذن، واعتدت على سيادة سورية". والجميع رأى كيف ترك النظام السوري "حامي حمى الأقليات" أكراد كوباني (عين العرب) ،وهم أقلية بالنسبة للسوريين العرب، تواجه مصيرها؛ بعد أنْ مارس هذا النظام سياسة الأقلية القاصرة (Minority) ضد الأكثرية الراشدة (Majority) سياسة الدولة التي تقف ضد الأمة بدل أن يمارس سياسة الدولة/الأمة على مدار سنوات حكمه. بالمجمل -قبل بدء التحالف الدولي/العربي بالهجوم على مواقع ضمن سوريا- يبدو أنَّ الحرب على الأبواب وأن النظام السوري جاهز للمواجهة مع التحالف يسانده بتوجهه هذا روسيا وإيران وملحقاتهما. وقد كان يقدم نفسه كضحية لمؤامرة كونية تقودها أطراف دولية وإقليمية وعربية ويتم تنفيذها بأياد سورية، وأنه مضطر لمواجهة هذه المؤامرة ومقاومتها وممانعتها ليحافظ على أمن واستقرار سوريا وسيادتها الوطنية ويحمي أقلياتها من المؤامرة. أما بعد بدء التحالف الدولي/العربي بالهجوم تبين أنَّه ليس ثمة من مواجهة أو اشتباك وأن المؤامرة تحاك على الشعب السوري ومصيره واستقراره وحريته بأيادٍ كثيرة جداً أولها أيادي النظام نفسها.

من هنا يمكن تمييز التموضع الجديد للنظام السوري من خلال نقاط ثلاث: -1 يقدم "النظام السوري" نفسه على أنه و"التحالف الدولي" بخندق واحد؛ أي ذات المصلحة وذات سلم الأولويات. فقد أعلن "فيصل المقداد": إنَّ "سورية ليس لديها تحفظات ازاء توجيه ضربات جوية أميركية ضد تنظيم الدولة فوق أراضيها"، كما وصف رئيسه بشار الأسد بأنه "حليف طبيعي" للولايات المتحدة في حربها ضد تنظيم الدولة، ودعا إلى التنسيق بين الجانبين، حتى لا تقع أخطاء، على حدِّ قوله. وقد ورد في صحيفة "الوطن السورية" بتاريخ 24 سبتمبر/أيلول عنواناً يخالف تصور المؤامرة وتصور السيادة الوطنية: "واشنطن وحلفاؤها في خندق واحد مع الجيش السوري لمكافحة الإرهاب". وبدأت مهزلة أنَّ الأمريكيين أخبرونا واستأذنونا ونسقوا معنا... يعتقد النظام أنَّ تموضعه الجديد يخدمه بإمكانية توجيه نتائج التحالف وضرباته لمصلحة بقاءه "الضرورية" من جهة، والحفاظ على السيادة الوطنية، والممانعة والمقاومة، وكونه حام للأقليات، من جهة ثانية. -2 استمرار النظام بالتَّدليل على أن موازين القوى المباشرة تصب في مصلحته من جوبر للقنيطرة لعدرا لريف حماة ...الخ. فهو يعرف أنَّ الحسم يرتبط ويتعلق بموازين القوى وليس بالتصريحات الإعلامية؛ لذلك يؤكد على أنه الأقوى وأن أي حل سياسي إنْ كان على طريقة جنيف، أم عسكري، إذا تدحرجت الكرة بطرق غير متوقعة بالنسبة له، يجب أن يأخذ "بقاءه الضروري" بعين الاعتبار. -3 يراهن على مفاعيل الزمن في أنْ تصب في صالحه؛ أي بقاءه "الضروري والمفيد" كإرهابي علماني يخدم "الإرهاب الديمقراطي" متمثلاً بمجلس الأمن ضد "الإرهاب الإسلامي" متمثلاً بتنظيم الدولة، ويعرف تماماً دور الزمن في قلب الحقائق وتغيير موازين القوى والتأقلم مع الواقع.

وهكذا هل يساعد تموضع النظام الجديد في تحريك الاوضاع والاستفادة منها فيخلق أوضاعاً جديدة غير متعينة سلفاً يمكن اقتناصها لخلق واقع يكون لمصلحته, ولاسيما أن النظام لا يريد بأي حال من الأحوال الاشتباك مع التحالف الدولي؟! ألا يمنحهم الاشتباك والمواجهة فرصة التأثير اللاحق على الأحداث أكثر من التداخل بالتنسيق؟! أليس ثمة من علاقة بين "الإرهاب الإسلامي" مجسداً بتنظيم الدولة في سوريا وبين "الإرهاب العلماني" متجسداً بالنظام السوري و"الإرهاب الديمقراطي" متجسداً بمجلس الأمن وقيادته؟!. أسئلة استنكارية وسياسات مستنكرة برسم الإجابة عليها من قبل الشعب السوري.

"سايبر سيتي" مدينة ألعاب أم فيلم سينمائيّ؟

رامي العاشق

يظن القارئ لكلمة سايبر سيتي -للوهلة الأولى- أننا نتحدّث عن مدينة ألعاب، أو مدينة صناعية، عن فيلم سينمائي ربّما، ولا يمكن له أن يتوقّع أنّنا نتحدّث عن سجن يسمّونه هنا "مخيّم"!

يقع "سايبر سيتي" في مدينة الرمثا الأردنيّة الحدوديّة مع سوريا، ويسكن فيه "قسرًا" لاجئون فلسطينيون قادمون من سوريا هربًا من آلة الموت، قرابة 500 فلسطينيّ محتجز في بناء بستّة طوابق تضم مائة وعشرين غرفة، كلّ غرفة تسكن فيها عائلة، في ظروف إنسانيّة مأساويّة أشدّها قسوةً: أنّ المحتجزين ممنوعون من الخروج من هذا المكان لأبعد من 30 متر ضمن حدود وأسلاك شائكة ودوريّات أمنية وحراسة مشدّدة.

منذ عامين ونصف تحتجز السلطات الأردنية هؤلاء الفلسطينيين بدون أي تهمة، فقط لأنهم فلسطينيّون لا أكثر، ومهما بحثنا عن مبرّرات لن نجد ما يمكن للعقل البشريّ أن يقتنع به! اعتقال تعسّفي بسبب جنسيّةٍ حتى ولو كانت تهمةً فلم يخترها أصحابها ولم يقترفوا ذنب الانتماء لها! نعم ليس فيلمًا سينمائيًّا ولا قصّة قديمةً عن السّود والبيض، سايبر سيتي جحيمٌ قاتلٍ يسلبُ إنسانيّة من فيه!

على بعد 500 متر من المفاعل النووي كان يلعب (حيدر) ابن الخمس سنوات في بهو "المخيّم" مرّ بقربه أحد الرجال فصار يغنّي له أغنيّة ابتكرها من واقعه تقول: «بعرض أختك شِلن» أي أعطني خمسة قروش، وهذا لا يمكن اعتباره إلا تشويها -ممنهجًا ربّما- للطفولة في سلبها حقوقَها البسيطة، وامتهانًا لكرامة الآباء الممنوعين من العمل، والجالسين هكذا ينتظرون قرارًا ما يقضي بخروجهم ومعاملتهم كالبشر الطبيعيين!

لو كتبت على "غوغل" عبارة سايبر سيتي، ربّما ستعرف شيئًا ما عن هذا السجن، لكنّك لن تعرف عن (رأفت) 20 عامًا، فلسطينيّ سوريّ حاول الانتحار من سطح المبنى، لأن السلطات قررت تسفير والده الستّيني إلى سوريا الذي هرب من سايبر سيتي ودخل إلى المدينة حيث تم إلقاء القبض عليه، محاولاتُ انتحار كثيرة كانت، ومحاولات هروب كثيرة نجح بعضها وفشل بعضها وأعيد بعض الذين هربوا وتم القبض عليهم إلى سوريا قسرًا، هل تصدّق أن كل هذا فقط لأنهم

فلسطينيّون؟ لا أعتقد.

لم يستطع الفلسطيني السوري (أبو عمّار) أن يهرب من حمص إلى لبنان أو تركيا، فأتى جريحًا مصابًا في قدمه واضطر للجوء إلى الأردن لإجراء عملية جراحية في ساقه ووضع صفائح حديديّة، وإلى هنا يمكن اعتبار هذه القصّة عاديّة وطبيعيّة في ظل ظروف الحرب، إلا أن غير الطبيعيّ، أن يُمنع أبو عمّار من الخروج من سايبر سيتي ليفكّ الغرز (القطب) المعدنية من ساقه، فاضطر أن يفكّها بالكمّاشة (الزراديّة) بنفسه! هل يمكن للعقل البشريّ تخيل هذا المشهد؟

الحياة جميلةٌ في سايبر سيتي، فقد خصّصت وكالة الغوث "الأونروا" (كرفانًا) خاصًا ليصبح مسجدًا، وآخرَ لتوزيع الكوبونات من منظمة الغذاء العالمي، وسمحت السلطات بزيارة المحتجزين بموافقة المتصرف (المحافظ) نعم نجحوا في تحسين ظروف السجن، ولم يقدموا على المحاولة لإغلاقه، جميلٌ أن تقوم "هيومان رايتس ووتش" بتسميّة سايبر سيتي بمنشأة الحجز، هذا كل ما بوسعهم أن يفعلوه، إلا أن الأجمل من هذا كلّه، أن يطلّق رجل امرأته لأنه بدون عمل، عمله فقط هو الشجار معها! والأكثر جمالاً .. أن يمنع فلسطينيو السايبر سيتي من الزواج داخل حدود المخيم وخارجه!

هل الموت أكثر عدالة من هذا؟ منفيون بلا منفى، عالقون على حدود الانتظار بلا غد واضح المعالم، ينتظرون موتًا بطيئًا أو خلاصًا متأخرًا لا يعرف موعده، معتقلون بلا تهمة، هاربون من الموت والاعتقال ومعتقلون برسم القرار السياسي والسيادي، سألتْ مرّة إحدى العاملات بالمفوضيّة أحد الشبّان المحتجزين عن رأيه بالحمامات المشتركة بعد أن تم تحسينها، فأجاب: «مش مهمّ تحطّونا بقفص وتقولولنا هاد مصنوع من الدهب، بيضل إسمو قفص»!

البعض عادوا طوعًا، وهذا القرار الطوعي، قسريّ بشكل أو بآخر، أبو هشام وأبو خالد فلسطينيّان عادا إلى درعا لأنهما لم يستطيعا البقاء هكذا، طلبوا العودة، وتم "قذفهما" إلى سوريا، أبو خالد استشهد في الغوطة الشرقية وظلّت عائلته -التي هرّبها من سايبر سيتي إلى عمّان- مطلوبة للأمن الأردني، وأبو هشام استطاع الوصول إلى تركيا، ثم إلى اليونان، وهو الآن في السويد بعد أن قطع البرّ والبحر ونجا من الموت أكثر من مرّة!

لن تعرف هذه التفاصيل؛ ليس لأنها خياليّة ولا لأنك لا تريد أن تعرف، بل لأن ثمة من لا يريد لك أن تعرف، هل تعرف مثلًا أن سايبر سيتي ليس الأول من نوعه؟ فلسطينيو العراق أيضًا تم وضعهم على الحدود الأردنية العراقية في مخيم الرويشد لمدّة ثلاث سنوات حتى أخذتهم البرازيل بالطائرات دون أن يدخلوا الأردن؟ في سوريا كذلك، مخيّم التنف على الحدود العراقية السورية كان بذات المواصفات غير الإنسانيّة، واللافت في الأمر أن كلّ هذا في بلادٍ تدّعي الدفاع عن الفلسطينيين وقضيّتهم وتحملُ رايتهم في شعاراتها وحملاتها الإعلامية!

غريب..

علي فاروق

في ذكرى: يامن يوسف المبيض 1981 ــ 2012

عمل في صنع "العوامة"، وصار يرافق "الأستاذ" في جميع زياراته، ومشاويره، وأصبح يلازمه في حضور "دروس العلم" في مسجد "أبي النور" بدمشق، وبدا هو أيضاً، أنه قد بدأ يختار طريقه.

في مجيئه الأول لم تتح لي فرصة التعرف إليه، لكنه حينما عاد، وفي أول حديثٍ معه، سألته: لماذا انقطعت عن المجيء إلى المسجد، قبل عدة سنوات؟

فرد ببراءة، وبساطة:

ــ والله وقتها اشتريت "بسكليت"، وصرت العب عليها بالحارة، ونسيت الدرس..!

أحببته، وصرنا أصدقاء..

صار شاغله ارتياد المساجد، وحضور "دروس العلم"، وسماع "الشيوخ"، ولم يعد يخلو أي حديثٍ له من الاستشهاد "بحكمتهم"، وترداد أقوالهم، أما أنا المصاب بالسأم منهم، والمحبط من جهلهم، فكنت أتعمد تسفيه تلك "الدروس" أمامه، والتكلم بالسوء على ذينك "المشايخ"، كنت أسعى لتوعيته، وأحياناً كنت أرغب بإغاظته فقط، حتى لا يسترسل بأحاديثه أمامي..

لكن محاولاتي كانت تبوء بالفشل، فقد ظل مقتنعاً "بالعلم"، وكان من طبيعته أنه حينما يتعلق بحديثٍ، أو بقصةٍ فإنه يظل يرددها، ويكررها ولا يترك ذكرها حتى تقع بين يديه قصة أخرى، فينسى الأولى، ويدير أسطوانة الثانية، حتى تأتي ثالثةٌ، وهكذا..

كان عندما يزورني، ونتحدث، ثم يجد فيَّ تبرماً من الحديث المكرر، يحاول إبهاجي، فيسألني: هل رويت لك ما جرى بين والداي، وجارتنا "أم رنو" ؟ وكان يسأل بجدية، فقد كان ينسى دائماً أنه حكاها لي..

وكنت أجيب في كل مرةٍ:

لا، لم تروِ لي..

يعذبني جداً سماع القصص المكررة، لكن العذاب الذي كنت أحسه من سماع قصصه، كان فيه شيءٌ من الألم العذب، يروي حكايته، فأسرح بخيالي في عوالم بعيدة، وأستمتع بالألم، وأنا أفكر من أين تأتي تلك اللذة؟ !

في الصيف ذهبنا مع "الشيخ/المفتي"، في رحلة إلى البحر، وهناك كنا في الظهيرة نستلقي تحت الأشجار، كنت أعجز عن النوم، إلى أن اهتديت إلى منوم، فصرت أسأل رفاق الأرق، هل تعرفون قصة "أم رنو" ؟

وأنادي صاحبي، وأقول بمكرٍ: ارو لهم القصة..

يبدأ صديقي حكايته، فيتسلل خدرٌ ثقيلٌ في عروقي، إلى أن أصاب بما يشبه الإغماء، وأنام..

أصبحت زياراته لي بعد دخول الجامعة طقساً يومياً، حتى في أيام الامتحانات، أما حديثه الأثير، فقد ظل: "الشيخ" قال، "الشيخ" فعل، "الشيخ" قرر، أو يردد جملةً، أو مقطعاً من خطبة "الشيخ".

لطالما وجد في كلام "الشيخ"، رأس الحكمة، وغاية العلم، كان يتمنى أن يصبح شيخاً خطيباً، لذلك قرر الحصول على الشهادة الإعدادية، طلب مساعدتي، فابتدأت معه دروس اللغة الإنكليزية، لكن همته فترت بسرعة، ثم توقف..

زارني في أحد الأيام، وعندما جلس، نظر إلي لثوانٍ، وكأنه يطلب إذناً لقول شيءٍ مهم:

ــ نحن دولةٌ علمانيةٌ.. ولكنها علمانيةٌ مؤمنةٌ..

قال ذلك بإعجاب، وفخرٍ، وبصوت عالٍ، محاولاً تقليد صوت "الشيخ"، لم أعرف ما كانت توقعاته مني، لكنه بالتأكيد لم يتوقع أن أقول:

ــ مين هالحمار اللي قلك هيك !؟

فسكت..

كان أصغر إخوته، له أختٌ وحيدةٌ كبرى، وثلاثة أشقاء، شقيقه الأكبر، وشقيقه الثاني معتلان منذ الولادة، والأكبر فضلاً عن مرضه العقلي، كان مشلولاً أيضاً، أما أخوه الذي يكبره مباشرةً، فكان مصاباً بالسكري، أما هو فكان دائم الإصابة بأمراض غريبة، في أخر مرةٍ، مثلاً، أصيب بمرض "السل"، انتفخت غدد رقبته، وغدت له رقبتان، عندما رأيته، ضحكت بشدة، لم أتمالك منع نفسي..

كان أخر لقاء لنا قبل اقتحام الجيش بثلاثة شهورٍ، أتى لزيارتي في إحدى الأمسيات، وأخبرني أنه يفكر بالزواج، وأن والدته تريده "عريساً" كأخيه، أن موعد تجديد جواز سفره قد حان، وأنه لا يملك النقود، فأعطيته بعضها، وأخبرته أنني سأتدبر الباقي في اليوم التالي، لكنه لم يعد..

عندما أخبرني أخي أنه رآه قرب منزله ممدداً في الشارع، إلى جوار أخيه "العريس"، بثيابهما المشققة، وبآثار تعذيبٍ وحشيٍ واضحٍ عليهما، مصابين برصاص في الرأس.. لم أستطع البكاء.

بعد المعركة، كنت مستنزفاً، محطماً من الداخل.. كان شعور الضآلة والعجز يمزق أعماقي.. عندما كان حياً، كنت أداعبه بسؤالٍ يقطع حديثه:

يامن زعلان مني؟

فيجيبني: لا.. فأفاجئه بسؤالٍ آخر:

بتحبني؟

يخجل، يرتبك، فيداري جوابه بابتسامته الرقيقة: "أحب ثلاثة أشخاص، باسل، وكمال، وأنت"

يكفيني أن أكون ثالث من يحب..

لطالما اعتبرته أخي الصغير، وعاملته برفقٍ أبوي، واعتبرت نفسي مسؤولاً عنه، والآن عندما احتاجني لأخر مرةٍ في حياته، خذلته، وعجزت عن حمايته..

فهل أبكي عليه، أم على نفسي؟

أخبرني أخي أيضاً، أنه في تلك الظهيرة الحارقة رأى أخاه الثالث، يجلس عند رأس أخويه الممددان على الإسفلت، ويقرب من شفاههما المدماة، زجاجة ماء..! ما نفع العقل، إن كان "مجنونٌ" أرحم بالميت منا..

في اليوم التالي لعودتي إلى المدينة، ذهبت إلى بيته، كان خالياً، هناك أخبرني أحد الجيران، أن القَتَلَة في ذلك اليوم، وبعد انسحاب المدافعين عن المدينة، صعدوا إلى المنزل، وأنزلوا الأب، وولديه، عذبوهم، ثم أعدموهم ميدانياً في الشارع، فيما تركوا الأم، والبنت، والولدان المريضان..

لم يعرف أولئك المجرمون كم كان طيباً، وهشاً، وقابلاً للكسر.. لا حاجة للرصاص، تقتله كلمةٌ، أو صفعةٌ..

كان لدي بقية أملٍ في وداعٍ أخيرٍ.. لكن الجيش أخذ الجثث معه..

بعد مدة، علمت أن الأم، سافرت مع ابنتها، وولدها الثاني، إلى "غزة"، بعد أن أودعت ولدها الأكبر العاجز، لدى إحدى المؤسسات الخيرية.. وهكذا رحلوا إلى موتٍ جديد..

اليوم، وبعد سنتين على استشهاده، لا أعرف لم لا زلت أحس أن حزني معه يزداد بدل أن ينقص.. حقاً إنه أمرٌ غريبٌ..

لطالما أحببت "العوامة" عندما كنت صغيراً، أما اليوم فصرت أشتاقها، وأحبها أكثر..

قلمٌ ورصاصة

فرات الشامي

حين أشرعُ بالكتابةِ عنها، استأنفُ الكتابةَ عن امرأة أسطورية، كنت أغوصُ في أعينِ النساء... اغترفُ المعاني من وجوههن، لكن الحربَ فرضت نفسها. حتماً لم أنفصل عن القلم والورقة لكنني غادرت عالم النساء وأخذت الكلمات حيزها الصحيح في زاوية التفكير... بقيت امرأةً واحدةً في ذاكرتي... في كل ليلة أحلم بها فوق سريري الخشبي، ألثمها تارةً... وتارةً ألامس وجنتيها... في آخر مرة لثمتها، اكتشفتُ أن مياه شفتيها تلوث بفعل فاعل!!، ثم تشوهت القصيدة التي نظمتها من أجلها... بعض من حسبتهم أقاربها يعرّون جسدها أمام عيني.

صرختُ: "كيف آمنت بأنهم أهلك؟" ، وسرحتُ بعيداً... بعيداً... إنها خائنة... هكذا النسوةُ اللاتي عرفتهن، يعطين أجسادهن لمن لا يستحق...

همسَتْ: (جميعكم تركني فريسةً لهم)، ثم أشاحت بوجهها ومضت.

لم أفهم شيئاً، وما شأني بما تقول؟!، ربما لأنني لم أحاول أن أفهم كغيري.

لن أكتب عنها بعد اليوم، ما الفائدة من الكتابة في زمن الرصاص والموت...؟ ما الفائدة من الورق في زمن تساقطه ...؟ تلك المتاهة والجدلية التي تعج بالأسئلة لم تكن لتسيطر على تفكيري لولا الحصار الخانق على الحرف في كل الأزمنة، حتى في زمن الحريات...!!

- أنت هنا تختار الاستسلام بديلاً عن الإيمان بالقيمة التي خرجت من أجلها... أنتَ مجرمٌ حين تترك امرأةً عاريةً أمام مغتصبيها وترحل... وإلا بما تفسر هروبك..؟!

- أنا ما هربت... أنتِ من بعت نفسك لطاغية...!! مجردُ مبررٍ للتخلص منها، ومن هول الموت المحيط بنا، ما أبشع الموت... بل ما أتفه أولئك الذين يفرون منه هكذا صرت أفكر بعد أن أدركت كنه حروفها.

تذكرت قلمي...وسيلتي للعبوُر نحو القلوب والعقول... أغزو به أعماقاً مغلقة الأبواب.... افتحها تارةً... وتستعصِ أخرى... أعايش اليأس والأمل.

ومع أنني لم أكترث بالرصاصة يوماً، ليس لعدم إيماني بجدواها، لكنني بتُ مؤمناً بمكانتها إلى جانب القلم الذي اخترته صديقاً في السنوات الأخيرة، يومها كنت أخط سطوراً بسيطةً لنفسي، وأرسم لوحةً لعالم حلمتُ أن تتحول إليه دمشق، أذكرُ أني مشيت في حاراتها العتيقة... لم أشتم عطر الأنثى التي عشقت... شجرةُ الليمون ما عادت في مكانها...وريقات الياسمين بلا رائحة... الحيرة تملأ القلوب والوجوه... مشهدُ الرحيل عنها يشبه الغروب في ليلة حرب... بعض من بقي أخطأ فكان صيداً ثميناً لأولئك المتربصين... المغتصبون في ذلك الحين استخدموا الرصاصة والقلم لاعتقالها.

ماذا اختار... أي درب هذا الذي قادتني إليه رغباتي...؟ لا عجب إنّ اخترتُ ذاك المزيج بين الوعي لروحية معتقدي، واطمئناني لدور جناحيّ الطائر (القلم والرصاصة)... وأمضي في طريق صارت جسراً للعبور... في نهاية المطاف قد أصبح أنا جسراً مع وريقاتي التي كتبتها ورصاص البندقية التي لم تسترح في تنقلاتي.

يتعانق القلم والرصاصة لترتسم لوحةٌ مازالت مشوهة المعالم، فاللمسة بعدُ في طور التكوين، لكن الفكرة ارتدت زيها المناسب للربيع، ومهما يكن من أمرٍ فالألوان ذاتُ طابعٍ مميز.

وجه الشبه بين القلم والرصاصة يكاد يجعلهما يتوحدان، حتى ينعدم التفريق بينهما، كلاهما يقتل ويبني... وله ذات الأثر... قلةٌ من أدركوا واختاروا الطرفين سلاحاً في ثورة الخيارات الصعبة، والأفكار المتشعبة... !!

قلمٌ ورصاصة.... سلاحٌ يتحول إلى جوريةٍ في بستان دمشق... لكن، ما هو الزمن الذي ينفصل فيه الاثنين...؟ لا اعتقد أنه آتٍ في القريب...

بلا ممحاة... هكذا يجب أن نبدأ... ونمضي... أما الأخطاء فتمحوها تصحيحات القلم ذاته واعترافاته... فالممحاة أداة تشويه تاريخية... الحقائق لا تمحى بل تصحح إن سلبتها الأخطاء سمو غايتها.

تتمة من صفحة 9

أرسم الا الشي الذي أحس به"...

مثله مثل الكثيرين ممن هاجروا مرغمين، لا يعتبر الفنان هاني عباس الهجرة خلاصا فرديا، حتى فرحه المؤقت يبقى غريبا واستثنائيا وسط ركام احزان من أحب ومن انتمى اليهم.

"للأسف أي فرح بسيط أشعر به أو أشاهده ينقلب عكساً عند قياسه بمعاناة الناس وخاصة النازحين بالداخل السوري أو في الخارج... في المخيمات أو حتى اللذين وصلوا إلى أوروبا.. فالأمور ليست سهلة كما يظنها البعض.. تختلف حدة الصعوبات من مكان لمكان ولكن في الحقيقة كلها مأساة، سأشعر بالفرح عندما ينتهي كل هذا الموت والوجع اليومي وتتحقق العدالة"

رغم نبرة الحزن في كلماته يبقى الفنان هاني عباس باب الحلم والامل مفتوحا على جيل جديد قد يتفتح في عالم أقل قسوة "كل شيء يثير مشاعر الحزن والألم... لا أخبار سعيدة منذ زمن... اتمنى أن ينتهي كل هذا الألم.. وأن اتفرغ للرسم للأطفال بعيدا عن كل شيء".

الثورة تتحدث مع نفسها

باسل مطر- مشروع سلامتك

في الآونة الأخيرة كثر الحديث عن أن الثورة السورية والسوريين اليوم يتحدثون مع أنفسهم فقط! ألوف الصفحات الإعلامية, وعشرات الألوف من الناشطين الإلكترونيين, والميدانيين ينقلون الأخبار, يوثقون الأحداث, ويخاطرون بحياتهم من أجل نقلها وما من أذن تسمع ولا عين ترى – إلا من رحم ربي- يا للحزن!

لم يعد من المجدي اليوم الحديث عن انتهاكات داعش والنظام بطريقة نقل الخبر الصحفي التي سادت في بداية الثورة ولازالت صفحة الثورة السورية وصفحة لجان التنسيق المحلية وشام الإخبارية تتبعها بحرفية محيرة مع كامل الاحترام لعملهم القيم. فخبر قصير عن قصف على دوما يودي بحياة عائلة لا يسافر بعيدا اليوم في الفضاء الإلكتروني الرحب, ليس لأنه خبر لا يستحق ذلك أبدا – فهو خبر قيم دون ريب, بل لأن العالم اليوم ينتظر أكثر من مجرد خبر. لقد مضى الوقت الذي كان فيه نقل الخبر أمراً هاماً في سياق الثورة السورية, فقد أتخم المستمعون والمتابعون أخبارا لحظية ويومية. يبحث العالم اليوم بل وربما ينتظر قصصاً من الأرض السورية. قصصا تشده. وعليه, فعلى إعلام الثورة (الاجتماعي تحديدا نظرا لأهميته في النقل والنشر وغيره أيضا من الإعلام التقليدي) الانتقال اليوم من نقل الخبر إلى صناعة القصة. لكن هذا لا يكفي, فعلى هذا الإعلام أن يخترق المجتمعات الافتراضية, ويصل إلى صلبها, لينقل قصصه وليسخر هذه المجتمعات لتحملها إلى غيره.

إليك بعض الأرقام التي قد تسبب لك صدمة العمر. يُرفع في كل يوم 350 مليون صورة على فيسبوك, وتتم مشاركة 4.75 مليار منشور مختلف (صورة, فيديو, ستاتوس الخ), ويستخدم فيسبوك شهريا ما يزيد عن 1.35 مليار مستخدم نشط, وهناك ما يزيد عن 52 مليون صفحة فيسبوكية في قارات العالم الست! أ ما تويتر فيستخدمه أكثر من 270 مليون شخص حول العالم يطلقون أكثر من نصف مليار تغريدة كل يوم. أين أنت, وأين هي قصصك وأخبارك في هذا البحر من المحتوى!

هذا فضاء هائل يعج بالآخرين, والكثير منهم يريد اختراقه بخبر ما أو صورة ما. هل تعرف يا صديقي أن معظم ما تنشره لا يصل إلا إلى عشرات قليلة من المستخدمين. هل تعلم أن 5% فقط من متابعي صفحتك على فيسبوك يرون ما تنشره في شريط الأخبار على جدارهم؟ وأن تويتر هو منصة أساسها التفاعل بين المستخدمين وأن إطلاق التغاريد واستخدام الوسوم التي تخترعها وحده لن يوصل أخبارك إلى العالم؟

هناك ثلاثة أمور أساسية يجب أن تتوفر لتصل قصص السوريين إلى العالم, وليكون استخدامهم لمنصات التواصل الاجتماعي (أو الإعلام الاجتماعي كما يسمى باللغة الإنكليزية) نافذة توصلهم إلى الناس, ويترك فيهم أثرا ويدفعهم لمشاركتها أيضا.

صناعة القصة: صناعة القصة هو فن دون شك حتى حين يعتمد على أحداث حقيقية. لا شك أن هناك الكثير من صناع القصص, لكن الملفت أن الكثيرين أيضا لم يتحركوا بهذا الاتجاه. على إعلام الثورة الانتقال بجزء كبير منه من نقل الخبر إلى صناعة القصة. إن القصة التي تحوي أسماء, وأماكن وحقائق وصور وتظهر حياة الناس تحرك المتلقي وتترك في نفسه أثرا أكبر بكثير من الأرقام وأعداد الضحايا وأخبار الدمار الغامضة أو الاشتباكات التي لا نعرف أطرافها.

معرفة الجمهور: على الإعلامي أن يحدد الفئة التي يريد إيصال قصته لها, ويبحث عما يحركها, ويشدها ويؤثر فيها. إن تحديد الجمهور لا يقل حيوية عن صناعة القصة ذاتها. لا يعني هذا تغيير الحقائق أبداً, بل يعني معرفة المفردات والصور والطريقة التي يجب تقديم القصة من خلالها لتصل إلى الفئة المستهدفة وتلقى أثراً.

معرفة منصات النشر وأدواته: يستخدم السوريون فيسبوك ويوتيوب (وتويتر بدرجة أقل كثيرا), لكن القلة القليلة ممن يديرون هذه الصفحات وهذه الحسابات تعرف كيف تستخدم هذه المنصات بطريقة استراتيجية. تكمل هذه المعرفة معرفتنا بالجمهور الذي نخاطبه. تعمل كل من هذه المنصات وفق أسس تقنية وتجارية معينه تختلف من منصة لأخرى. يعتمد تويتر مثلا على الوسوم لكنه أيضا يعتمد على التفاعل بين المستخدمين, ويعتمد يوتيوب على وسوم من نوع آخر. على الناشط الإعلامي معرفة ديناميكيات عمل هذه المنصات وأسرارها لاستثمارها في نشر قصصه والوصول إلى أكبر عدد من الجمهور.

للحديث بقية في الأسابيع القادمة مع مزيد عن الاستخدام الفعال لمنصات التواصل الاجتماعي.

زورونا على موقعنا الجديد على الانترنت
www.freedomraise.net
لمراسلة فريق التحرير:
freedomraise@gmail.com
https://www.facebook.com/freeraise
https://twitter.com/freedomraise
طلعنا عالحريّة

لا لضياع جيل